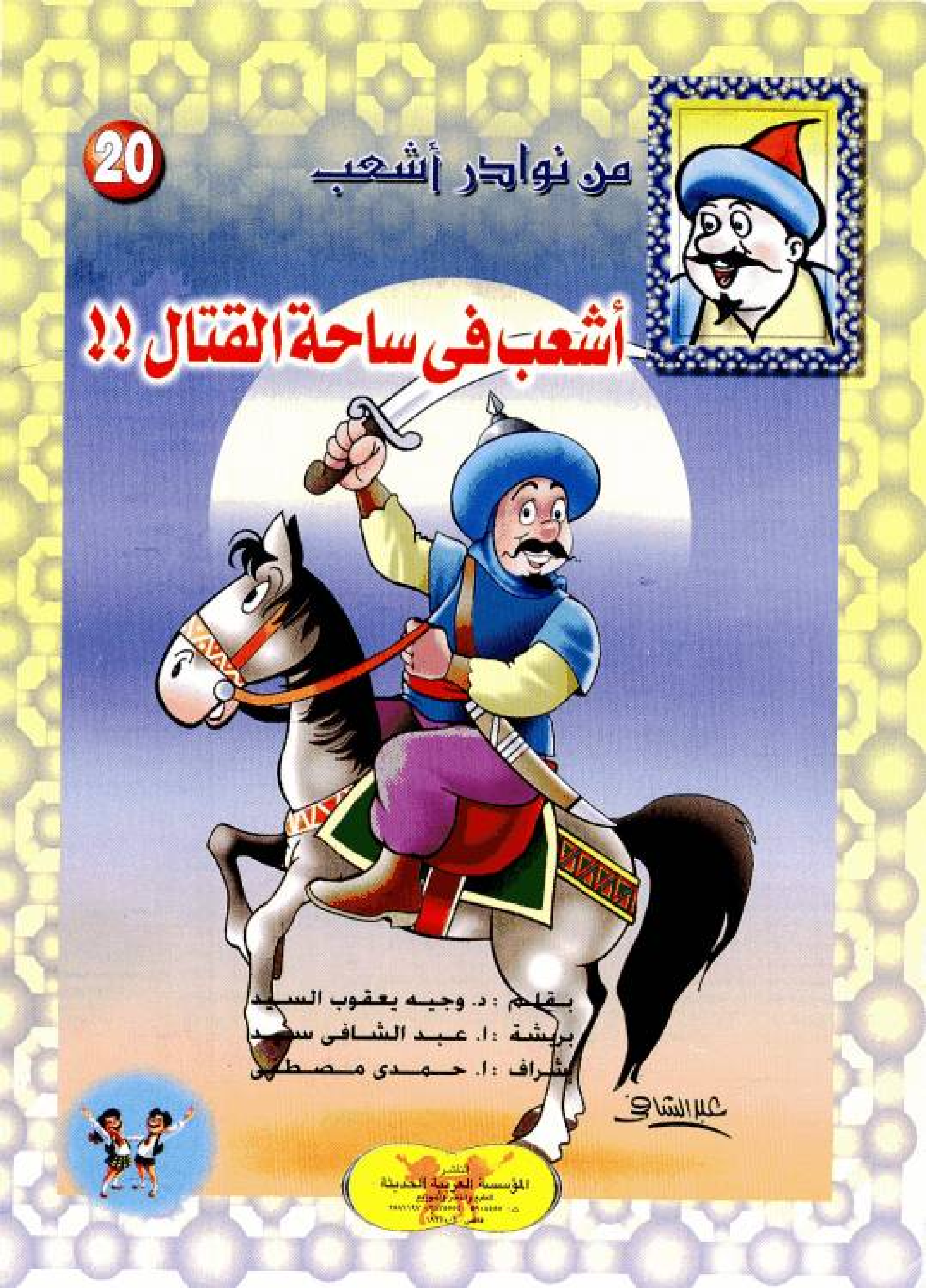

20
من نوادر أشعب
أشعب فى ساحة القتال !!
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
بريشة : ا. عبد الشافى سعد
إشراف : ا. حمدى مصطفى
عبد الشافى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

من نوادر أشعب



أشـعـب الطمـاع

شخصية حقيقية ، اشتهرت بالنهم والشراهة فى الأكل ، يعتبره البعض أمير الطفيليين بلا منازع ، حيث يتسلل إلى كل مائدة أو احتفال أو عرس فيه طعام ، دون أن يدعوه أحد أو ينتظر دعوة من أحد . وعلى الرغم من كل هذا ، فقد كان أشعب شخصية مرحة محبوبة ، تتسم كل مواقفه بالفكاهة والضحك ، بسبب ظرفه وخفة روحه ومواقفه الطريفة !

أشعب فى ساحة القتال

بقلم : ا. وجيه يعقوب السيد

بريشة : ا. عبد الشافى سيد

إشراف : ا. حمدى مصطفى

الناشر

المؤسسة العربية الحديثة

عَلِمَ الخليفةُ من بعضِ عُيونه أنَّ أشعبَ يقضى مُعْظَمَ أوقاته فى السَّهَرِ واللَّهْوِ وإطْلاقِ النَّوادرِ من أجْلِ إضْحاكِ النَّاسِ وابتزازِهم ، فقرَّرَ أنْ يتخلَّصَ منهُ بذكاء ، فأرْسلَ خادمَه يستدعيه على وجه السُّرعة فى وقْتٍ متأخِّرٍ من اللَّيلِ .

شعَرَ أشعبُ بارْتياب بسبب استدْعاء الخليفَة لهُ ، حيثُ لمْ يكن مُعتادًا أَنْ يرْسلَ له الخليفَةُ فى مثلِ هذا الوقت ، فامتلأَ قلبُه رُعبًا وقال وهو يُناجى نفسه :

ـ أُقْسمُ بالله إنَّ الخليفةَ لم يرسلْ إلىَّ إلا لشرٍّ سيلْحقُهُ بى . فليس الوَقْتُ وقتَ غداءٍ ولا وقْتَ سمرٍ .



وحاولَ أَشعبُ أَنْ يعرفَ من الخادمِ سرَّ استدعاءِ الخليفةِ له لكي يُهيِّئَ نفسَه ويختلقَ الأعذارَ، لكنَّ الخادمَ لم يزدْ على قولِه :

ـ لا أعرفُ. سوفَ يخبرُكَ الخليفةُ بنفسِه !

مضى أَشعبُ مع الخادمِ، وقدْ أَصابتْه حالةٌ من الشرودِ والوُجومِ، وراحَ يراجعُ نفسَه ويبحثُ عما جناهُ، حتَّى وجد نفسَه واقفاً أمامَ الخليفةِ. وعلى عكسِ ما توقَّعَ أَشعبُ فقد أَبدى الخليفةُ له الاحترامَ وربَّتَ على كتفِه .





وقالَ فى لُطْف :

ـ ما رأيُكَ فيمَنْ يدُلُّكَ على وسيلةٍ تضمنُ بها أنْ تحيا حياةً كريمةً رغْدةً بدلاً من التَّطفُّلِ على الْولائمِ؟

وفى حَذَرٍ أجابَ أشْعب :

ـ لكنَّنى جربْتُ معْظَمَ الأعمالِ يامولاى فلمْ أصْلُحْ لشىْءٍ منها .

ابْتسمَ الخليفةُ ومسحَ على رأْسِ أشْعب وقال :

ـ ولكنَّكَ لم تُجرِّبْ هذا العملَ قطُّ فى حياتِكَ يا أشْعبُ .

وفى لهفةٍ سألَ أشْعبُ الخليفةَ :

ـ وما هو هذا العملُ يا مولاى ؟ لقد اشْتقْتُ لمعرفتهِ .

وسادَ الصَمتُ لفترةٍ غيرِ قصيرةٍ، ثم همسَ الخليفةُ إلى أَشعبَ بقَوْله:

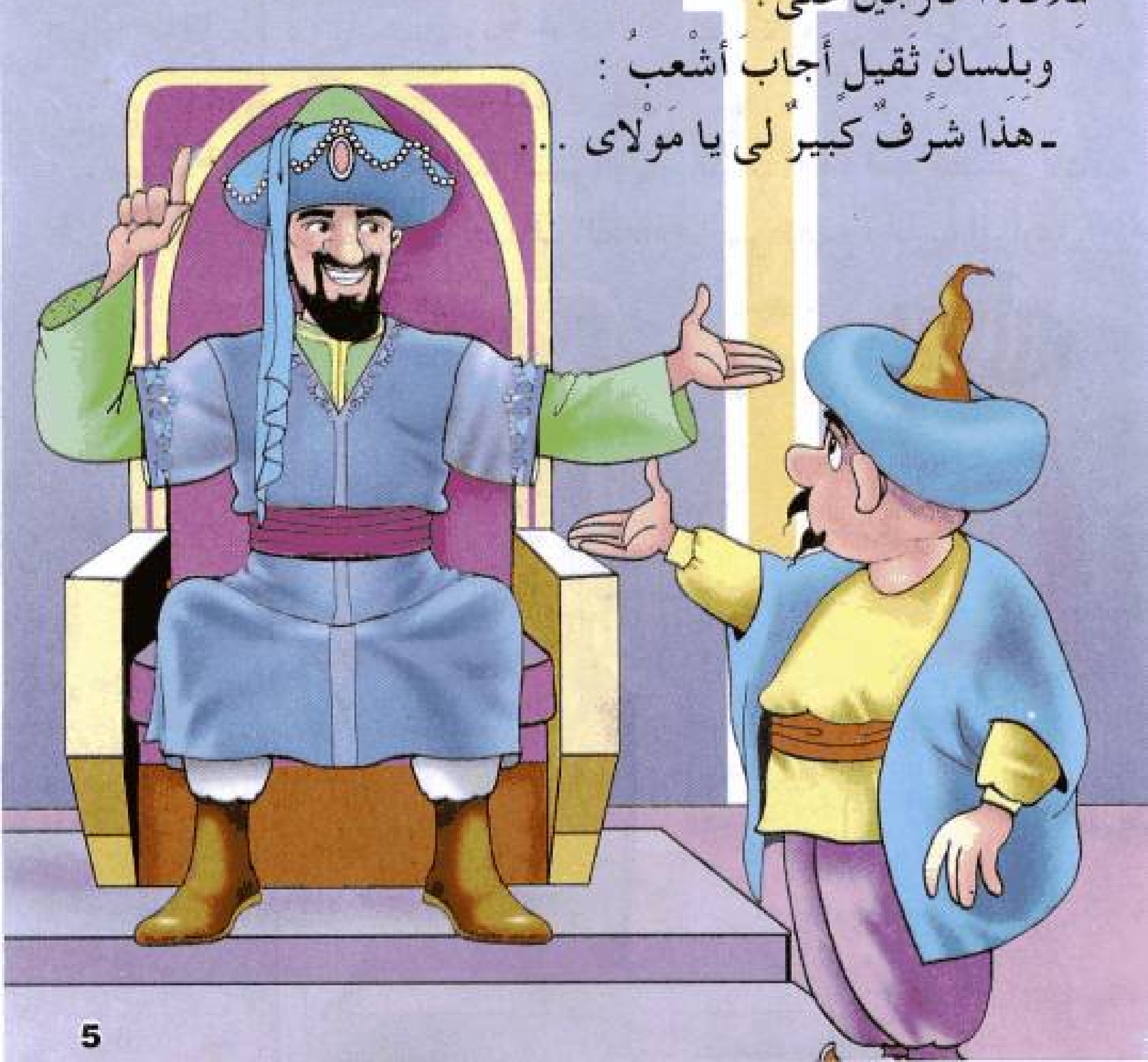
ـ الحربُ .

ولمْ يكدْ الخليفةُ يتمُ كلامَه ، حتى بدَا الذُعْرُ فى وجْه أَشْعَب ، ولم يستَطعْ أنْ يقفَ على رِجْلَيْه، وقبلَ أن يتكلَّمَ سألهُ الخليفةُ :

ـ ما رأْيُكَ يا أشعبُ لو خَرجتَ فى الجَيْشِ الذى سأُرْسلُه غداً لِمُلاقَاة الخارجينَ علىَّ؟

وبلسَانٍ ثقيلٍ أَجابَ أشْعبُ :

ـ هذا شرفٌ كبيرٌ لى يا مولاىَ . . .



وقبل أنْ يُتمَّ أشعبُ كلامَه، انتهزَ الخليفةُ الفرصةَ قائلاً:
- هذا ما كنْتُ أتوقَّعُه منك.
ثم الْتفتَ إلى خادمه وأمَرهُ قائلاً:
- يا «مسرور» أحضر لباس الحربِ لأشعب وأعطه سيفى «الْبتَّار» الذى شهدَ كلَّ انتصاراتى.
أحسَّ أشعبُ أن رأْسَه يدورُ، وحاولَ أنْ يبحثَ عن مَخْرجٍ من هذا المأزق، وتذكَّرَ الأيامَ الخوالى التى كانَ يسْعَى فيها إلى الموائد والحفلاتِ فيأكُلُ ما لذَّ وطابَ بلا عناء وبلا حربٍ. وكانَ الخليفةُ يعلَمُ ما يدُورُ فى نفْسه، ويعلَمُ مدى طمعه وحبِّه للمال فقال:
- سوْفَ أمنحُكَ جائزةً ماليةً كبيرةً يا أشعبُ، وسوْفَ أُخصصُ لكَ خادمًا يطْهُو لكَ من مُختلف أصْنافِ الطَّعامِ، حتى تضعَ الحرْبُ أوزارَها.



وأضاف الخليفةُ:

- ولوْ كتبَ اللهُ لى النَّصرَ على أعدائى فسوْفَ أمنحُكَ «ضيعةً» وأموالاً طائلةً لكىْ تعيشَ ما بقِىَ من عمْرِكَ بمأْمنٍ من ذُلِّ السؤَالِ.

وبرغْمِ هذه الإغْراءاتِ فقد سالَتْ دموعُ أشْعبَ غزيرةً على خدَّيْه، وقال وهو يحاولُ تجْفيفَها:

- هذا إذا قُدِّرَ لى أنْ أنجوَ من هذه الحرْبِ، فأنا واللهِ لا أجيدُ الرَّمْىَ ولا المْبارزةَ وليْسَ ببعيدٍ أنْ أكونَ أوَّلَ قتيلٍ تشْهدُهُ ساحةُ المْعركَةِ.

ربَّتَ الخليفةُ على ظهرِ أشْعبَ وقالَ:

- سوفَ تكونُ من الناجينَ الـمُنتصرينَ، وبعْدَ عودتكَ ستكونُ من الأغْنياءِ المُوسرِينَ.



فقالَ أشعبُ :

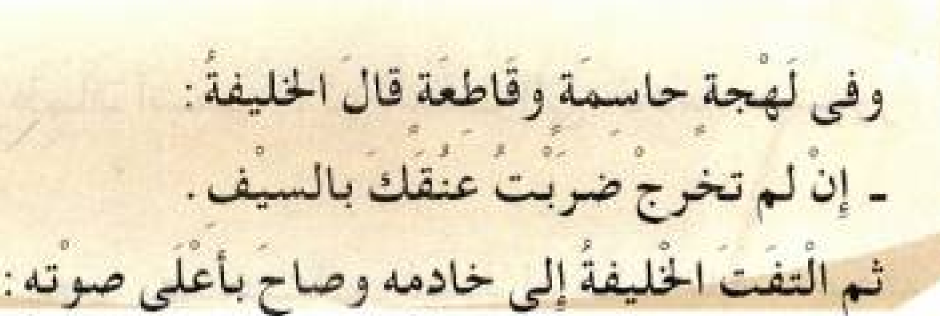
ـ إنى أَستحلفُكَ باللهِ ألاَّ تُخرجَنى إلى الحربِ، فإنى مَشئومٌ، فضحكَ الخليفةُ وقالَ :

ـ ولكنَّنى ميمونٌ، وسوفَ يغْلِبُ يُمْنِى شُؤْمَكَ .

فقالَ أشعبُ :

ـ واللهِ إنى لا أَدْرِى أيُّهما يغْلِبُ : أيُمْنُكَ أمْ شُؤْمِى ؟ إلا أنى أكثر مَعْرِفَةً بنفسى وأَطْوَلُ تَجْرِبةً لها، وقد خرجْتُ فى تسعَ عشْرةَ معركةً لحِقَت الهزيمةُ فيها بمَنْ خرجْتُ معهم، وكنتُ أنا السببَ فى الْهزيمةِ .





وفى لَهْجة حاسمَة وقاطعَة قالَ الخليفةُ:

ـ إنْ لم تخرجْ ضربْتُ عنقَكَ بالسيف.

ثم الْتفَتَ الخلْيفةُ إلى خادمه وصاحَ بأعْلَى صوته:

ـ يا «مسرورُ» ائتنى بالسيَّافِ الآنَ لكَى يضرِبَ عنقَ هذا الجبْانِ.

ونظرَ أشعبُ إلى عينى الخليفة فوجدهُما تُشعَّانِ بالْغضبِ وتُنذرانِ بالشرِّ، فأسْرَع نحوهُ وأكبَّ على يديْه يقبلُهما وهو يقولُ:

ـ سوْفَ أخْرجُ يا مولاىَ وأمرى إلى الله، وإنا لله وإنا إلَيْه راجعونَ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، ولكنْ تذكَّرْ ما وعدتَنى به إنْ كتَبَ اللهُ لى النَّجاةَ.

فضحكَ الخليفةُ وطمأنَ أَشْعبَ ، ثم الْتفَتَ إلى خادمهِ «مَسْرورٍ» وقال :

- سوفَ يخرجُ أشعبُ بصُحبتكَ ، فنفِّذْ له ما يريدهُ واجعلْه لا يغيبُ عن نظركَ لحظةً واحدةً .

فقالَ مسرورٌ :

- لا تقْلَق يا مولاى فسوفَ يكونُ تحتَ مُراقَبتى وسأكونُ طوْعَ أَمْره .

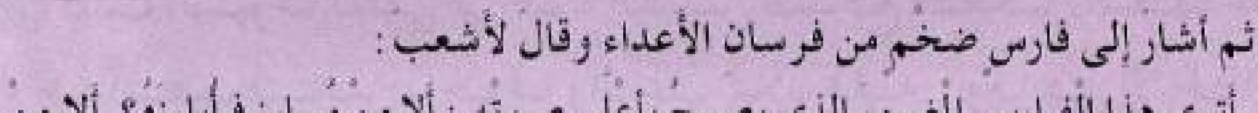
لَبِسَ أشعَب لباسَ الحَرْب فبدا منظرهُ غريبًا ، وخرجَ بصُحْبةِ «مسْرور» وهو يُقدمُ رجلًا ويؤخِّرُ أُخْرى ، حتى وجد نفْسهُ أخيرًا فى ساحةِ المعْركةِ .



كانت السُّيوفُ تلْتقى فى ضوءِ الشمْسِ الساطعِ فتنعكس أشعّتها على وجه أشعب فيُحس بالخوف والرُّعب يملآن قلْبه . وما هى إلا لحظات حتى تحوّلتْ ساحة المعركة إلى مسْرحٍ للأحْداث المتلاحقة المخيفة ، وراح أشعبُ - الذى اختار مكانا هادئا بعيدا عن القتال - يقلِّب ناظريْه فى ساحة القتال ، فيرى الرُّءوس تُحْصدُ كما تحْصدُ ثمارُ الفاكهة ، والأجْسادُ تتساقطُ وسْط برك الدماء .

همس « مسرور » فى أُذُن قائده بكلام ، فانطلق على الفوْر إلى أشْعب الذى كان جالسًا فى ظل شجرة من أشجار الجوز يأكلُ ويشرب ، وقال له:

- لقد أوصانى بك أمير المؤمنين خيرًا يا أشعبُ .



ثم أشار إلى فارس ضخم من فرسان الأعداء وقال لأشعب:

- أترى هذا الفارس المغرور الذى يصيح بأعلى صوته: ألا من مبارز فأبارزه؟ ألا من فارس فأطيح برأسه؟ سوف تخرج إليه فتبارزه.

صوب أشعب ناظريه إلى هذا الفارس، فوجده فى حجم الجمل، ورآه وهو يحارب خمسة فرسان فى وقت واحد فيفرون من أمامه، فوقعت اللقمة من فمه وقال وهو يبكى:

- وهل أهون عليك إلى هذه الدرجة يا سيدى؟ وهل هذه هى وصية الخليفة بى؟

فقال القائد:

- لا تكن جبانا، فقد أرسل مولاى الخليفة أنه سيزيد من قيمة جائزتك إن تغلبت على هذا الفارس، وأمرنى إن تباطأت أن أضرب عنقك فى الحال.

أَلْقى أشعبُ نظرةً أخيرةً على الطعامِ ، وحملَ دجاجةً ورغيفَيْنِ ثم ذَرَفَ دمْعةً وأخذَ يمشى فى بُطْءٍ وتقَاعُس حتى وجدَ نفْسَه أمامَ هذا الرجلِ الضخْمِ الفارِعِ الطُّولِ . أحسَّ أشعبُ أنهُ فى حجْمِ الفأرِ ، وأنَّ الرجلَ الذى يواجِهُه فى حَجْمِ الجَمَلِ ، فأخذَ يقولُ فى نفسه :

- يبدو أنَّ هذا هو آخرُ يومٍ من أيَّامكَ فى الدُّنْيا يا أشعبُ وأولُ يومٍ من أيامِ آخرتكَ .

وأضافَ قائلاً :

- ما الذى أخرجكَ للْقتالِ يا أشعبُ ؟ يا لَتعاستكَ أيها المسْكينُ ! مَنْ للْمَوائد بَعْدَكَ ؟ ومَنْ للأفراحِ واللَّيالى المِلاحِ ؟

ولم يستمرَّ أشعبُ فى تفكيرِه طويلاً، فقد اقتربَ منه الفارسُ الضَّخْمُ ونظرَ إليه نظرةَ احتقارٍ، فأحسَّ بالمهانةِ لو بارزَه فأغمدَ سيفَه، ثم اكتفى بضربِه بقبضةِ يدِه ضربةً قويةً، لم يشعرْ أشعبُ بعدَها بنفسِه إلا وهو فوقَ شجرةٍ عاليةٍ من أشجارِ الجوزِ بعدَ أنْ أطلقَ ساقيه للريحِ.

وجرى الفارسُ خلفَه لكى يلحقَ به، وأخذَ يبحثُ عنه فى كلِّ اتجاهٍ وهو يصيحُ قائلاً:

- أينَ أنتَ أيها الجبانُ؟ أين اختفيتَ؟

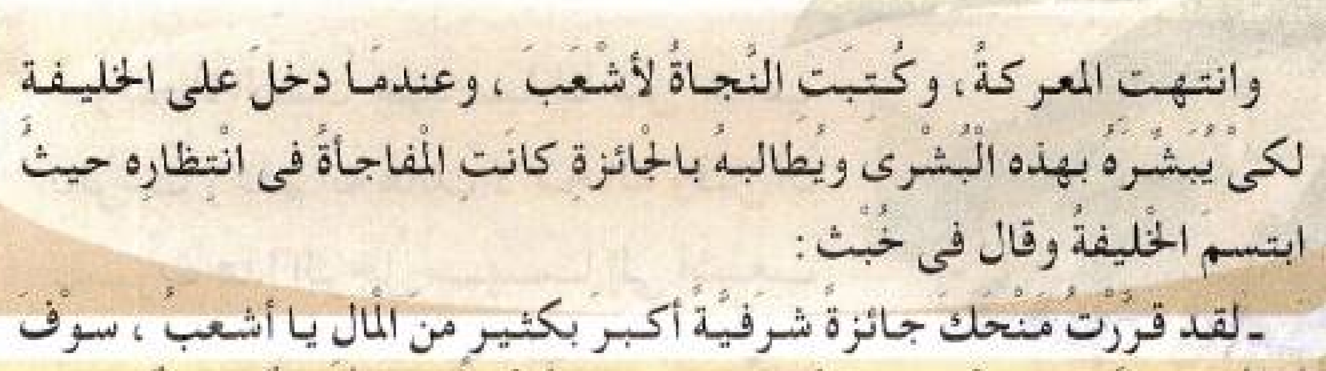
انكمشَ أشعبُ داخلَ ملابسِه، وتمنَّى لو تنشقُّ الأرضُ وتبتلعُه وراحَ يبحثُ عن وسيلةٍ تحميه من بطشِ هذا الرجلِ، الذى كانَ قابَ قوسينِ أو أدنى من الوصولِ إليه.





وفجأةً التقتْ عيناهما فأحسَّ أَشعبُ بالرُّعْب وعلم أنهُ هالكٌ لا محالَةَ وقبلَ أنْ يُصَوِّبَ هذا الرجلُ سهْماً إلى أشعبَ فَيُرْدِيه قتيلاً، أَخذَ أشعبُ يَضْرِبُ ثمارَ الجوزِ الثَّقيلةَ بسَيْفه وأخذَ يُلْقيها على رأْس هذا الفارسِ وسقطتْ واحدةٌ من هذه الثمارِ على رأْسه فخرَّ مغْشيًا عليه، وقبلَ أنْ يُفيقَ كان أشعبُ قدْ نزَلَ وعاجَلَهُ بضَرْبة قوية بسيفه ، ولم يصدقْ أشعبُ نفْسَهُ فأَخذ يصرخُ ويصيحُ بأعْلى صوته :

- لقدْ قتلْتُه ، قتلتُ الجملَ .



وانتهت المعركةُ، وكُتبتَ النَّجاةُ لأشْعَب ، وعندمَا دخلَ على الخليفة لكىْ يُبَشّرَهُ بهذه البُشْرى ويُطالبهُ بالجائزةِ كانَت المُفاجأةُ فى انتظارهِ حيثُ ابتسم الخليفةُ وقال فى خُبْث :

- لقد قرّرتُ منحكَ جائزةً شرفيّةً أكبرَ بكثيرٍ من المالِ يا أشعبُ ، سوْفَ أُعيّنُكَ قائداً على الجيشِ فى المرّةِ القادمة ، فقدْ أثْبتَّ أنكَ مُقاتلٌ شجاعٌ .

لكنَّ أشعبَ لمْ يكدْ يسمعُ ذلكَ من الخليفةِ حتى أطلقَ ساقيهِ للريحِ ، وهو يقولُ :

- وإذا لمْ يكُنْ منَ الموتِ بُدٌّ ... فليكُنْ موْتى فى حُضورِ المَوائد ..

رقم الإيداع : ١٧١٧٩ / ٢٠٠٢

الترقيم الدولي : ٧-٨١٥-٢٦٦-٩٧٧